http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1470) السنة السادسة - الاربعاء (1) نيسان 2009

يقع مبنى المديرية العامة للموانئ العراقية على الضفة الغربية لشط العرب. انشئ المبنى في نهاية ثلاثينيات العقد المنصرم، وفق العمارة الانكليزية. ومنذ ذلك الحين وحتى الان ما يزال يحتفظ ببهائه وجماله، وهو الابرز بين معالم منطقة المعقل. وحين اقتربنا من بوابتها الرئيسة لفتت انتباهنا حركة ونشاط العاملين، واعتقدنا انهم يستعدون لاستقبال ضيف ما. حين دخلنا غرفة مدير اعلام الموانئ عبد الكريم البصري سالته هل تستعدون لاستقبال أحد ما؟ نفى ذلك وبادرته بالقول ان العاملين في الميناء في غاية النشاط، قال هم هكذا في كل يوم .

الموانئ العراقية: الغوارق احدى معوقاتها والحديث عن التهريب إشاعة

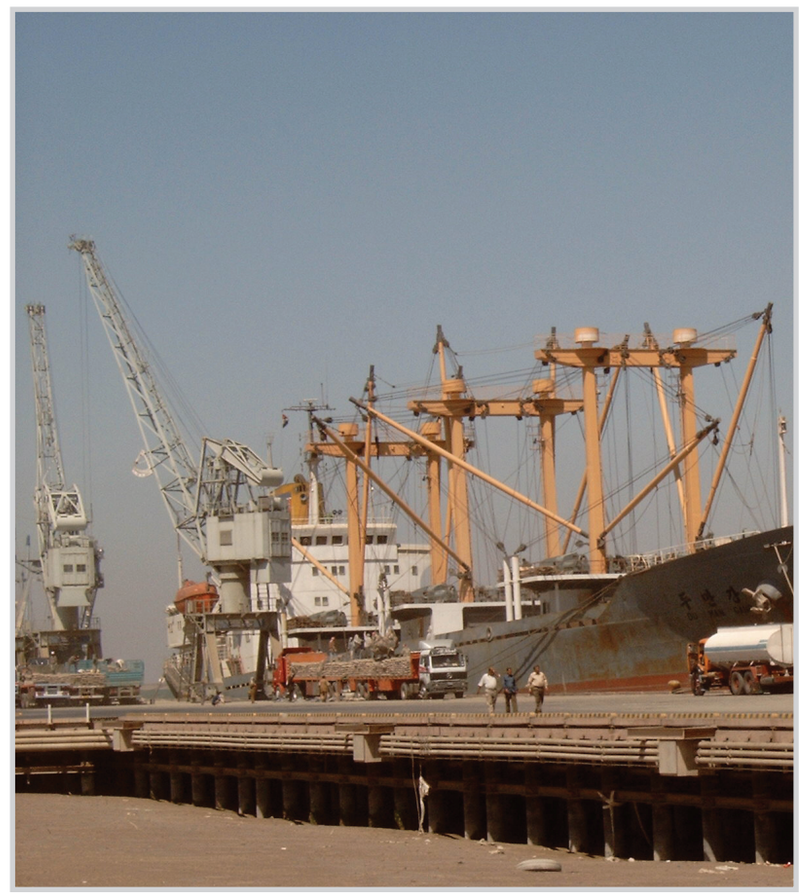

البصري لم يشأ التحدث الينا قبل ان نلتقي المدير العام للموانئ الكابتن صلاح خضير عبود، الذي اعطانا فكرة عن واقع الموانئ العراقية في الوقت الحاضر.

قال ان الموانئ العراقية ركن من اركان الاقتصاد العراقي ولذلك فان دعم الحكومة كان وما يزال مستمرا لهذا القطاع الحيوي. كسبت الموانئ اهميتها لكونها بوابة العراق للانفتاح على العالم باسره، من خلال موانئ محافظة البصرة، وهي الممر البحري للتبادل التجاري بين العراق وجميع دول العالم. وكذلك تستمد اهميتها ايضا من اهمية موقع العراق الجغرافي. عانت الموانئ، مثلما عانت مؤسسات الدولة الاخرى من دمار وتخريب خلال الحصار وما تلاه من حروب، لذلك اولت الحكومة المركزية، ووزارة النقل دعما خاصا للموانئ بغية تطويرها من اجل الاسهام في تنشيط الاقتصاد، لاسيما وان اغلب القطع البحرية التابعة للموانئ قد دمرت كاملة خلال الحروب التي خاضها النظام السابق. كانت الموانئ تشتمل على قطع بحرية ذات عمل اختصاصي كالحفارات والساحبات، وبعد احداث عام ٢٠٠٣ لم يبق منها ولا حفارة واحدة، اذ تعرضت جميعا للقصف والتدمير.

كثرة الغوارق عوائق لعمل الموانئ

عانت الموان ئ وما تزال من مخلفات الحروب وكثرة الغوارق، ففي شواطئنا ما يقرب من ٨٥ غريقا بحريا في مواقع مختلفة، مثل شط العرب وخور عبد الله وخور الزبير. وكذلك تدمير الساحبات التي تقوم بارساء واقلاع البواخر وناقلات النفط، فضلا عن تدمير البنى التحتية لجميع الموانئ. بعد عملية صولة الفرسان او عودة الاستقرار الامني لعموم المحافظة تم انجاز الكثير من الاصلاحات ونهضت الموانئ من جديد. في الوقت الحاضر نمتلك عشر ساحبات، وثماني حفارات بينها واحدة جديدة، ولدينا الكثير من القطع البحرية ونمتلك ايضا باخرة مسح حديثة (مسح الاعماق البحرية)، وتم تصليح العديد من الرافعات المرفئية، وانشئت العديد من الساحات ومحطات الحاويات على الطراز الحديث. وهناك توجهات حقيقية لدعم القطاع الخاص ضمن الضوابط المعمول بها.

الجديد في الموانئ دخول العراق الى الكثير من المنظمات العالمية والعربية، بعد انقطاع استمر اكثر من ثلاثين عاما. وكذلك عاد الى منظمة الاسرة البحرية العالمية ال (I m d) وانضمامه الى منظمة الفنارات وكذلك الى (اتحاد الموانئ العربية). حرم العراق من المشاركة في هذه المنظمات اكثر من عقدين من الزمن، والكثير من الملاكات البحرية ارسلت الى الخارج للتدرب على القوانين والمعايير الدولية الحديثة، سواء في المجال البحري او الاقتصادي. والجديد هو في طاقة الموانئ في التحميل والتفريغ وخاصة في ميناء ام قصر اذ بلغت ٢٤،٥٠٠ الف طن لليوم الواحد بحيث فاقت الطاقة التصميمية للميناء. والجديد ايضا يتمثل في تدريب وتاهيل الكوادر البحرية.

ميناء الفاو الكبير والقناة الجافة

استقرت التسمية اخيرا على ميناء الفاو الكبير، وحصلنا على دراسة نهائية تمثلت في الدراسة التي قدمها الجانب الايطالي، وتم وضع التصاميم الاساسية له، ونحن بانتظار اتخاذ القرار بشانه وهل سينفذ بالاستثمار ام بدعم الدولة؟ منظومة النقل في كل انحاء العالم هي ملحقات مترابطة، فالنقل البحري والبري والجوي لايمكن فصل احدهما عن الاخر. فهل يعقل وجود موانئ كبيرة عاملة، وليس هناك منظومة سكك حديدية مثلا؟ في مثل هذه الحالة تكون الموانئ ذات الطاقات العالية شبه مشلولة وعليه يجب ان تكون عمليات تطوير الموانئ، وكذلك تنفيذ مشروع الفاو الكبير مرهونا بتطوير السكك الحديدية وعمليات النقل البري بغية ان تكون العملية متكاملة وتشمل جميع انحاء العراق، ومن ثم دول الجوار واوربا عبر الاراضي التركية. اذا اكتمل هذا المشروع اعتقد انه سينعش الاقتصاد وسيرتقي بالعلاقات التجارية العراقية الى المستوى العالمي وسيؤدي الى النهوض بالواقع العراقي وعلى مختلف الصعد. نحن أمام استحداث رصيفين، وبصدد تحليل ودراسة المناقصات التي قدمت الينا بهذا الشأن، وانشاء اربعة ارصفة للحاويات عدا مشروع ميناء الفاو الكبير وبناء محطات وحاويات للموانئ الجديدة وتطوير الموجود منها في الموانئ الحالية. وكذلك تم انشاء ميناء السفن (الرولو) او سفن (الدحرجة)، ونحن ماضون في تطوير الواقع البحري للموانئ سواء في عقد الاتفاقيات البحرية الدولية وزيادة الطاقات التصميمية وانشاء ارصفة وموانئ جديدة وعلى وفق قانون الاستثمار، او من خلال دعم الدولة لهذا القطاع الاقتصادي الحيوي .

دخول الشاحنات الى الموانئ يتم في ضوء طلب ملاحظي الارصفة، فعند رسو اي باخرة تصعد اليها لجنة تاخذ عينات من البضائع لغرض فحصها وتحليلها. وبعد ظهور نتائج الفحص المختبري تنطلق الشاحنات للتحميل وعلى وفق حمولة الباخرة الراسية. وبعض الاحيان يحدث العكس تماما، الحمولة متوفرة غير ان الشاحنات لاتكفي. ومن هنا ندرك بأن سرعة تحميل الشاحنات يعتمد على وضع البواخر الراسية في الموانئ. قلت له : بعض اصحاب الشاحنات يذكرون أنهم يضطرون في بعض الاحيان الى دفع رشاوى للمسؤولين لتسهيل دخولهم الى الارصفة. رفض هذا الاتهام وقال انه كلام غير دقيق وغير صحيح. نحن نبتغي تفريغ الباخرة باسرع وقت لان الرصيف له جدوى اقتصادية، وعلى وفق هذا الحال يقتضي الامر الانتهاء من التفريغ باسرع ما يمكن ليتسنى لنا ادخال باخرة اخرى. وليس من صالح الميناء تأخير الباخرة كي يحصل بعض المسؤولين عن الميناء على رشوة من سائق شاحنة. ويبين ان الميناء يستقطع من صاحب الشاحنة مبلغ ١٥٠٠ دينار وازيد ليصبح ٣٠٠٠ دينار لقاء وصل رسمي، ماعدا هذا غير مسموح به لا لسائق الشاحنة ولا غيره. وارقام هواتفنا متاحة للجميع وابواب دوائرنا مشرعة لاستقبال اي مواطن ونستمع الى اي شكوى تردنا. ولا نسمح بابتزاز اي مواطن عراقي يلج الميناء. اما ان يدفع السائق رشوة ما بغية تقديمه على الاخرين فهذا يعود الى السائق نفسه، وبذات الوقت هو خلل قائم منذ زمن بعيد. في كثير من الاحيان كنا نعاني من نقص وقلة الشاحنات. خذ مثلا باخرة محملة بـ ٥٥ الف طن من الحنطة، والشاحنة الواحدة ذات حمولة ٣٧ طنا، وهذا يعني اننا نحتاج ١٥٠٠ شاحنة لتفريغ حمولة هذه الباخرة ولهذا فان بعض البواخر يتأخر تفريغها بسبب عدم وجود شاحنات.

في كلية طب جامعة البصرة

محاولات لعزل البنات عن البنين و شراء جثث مجهولة الهوية للتشريح

في طريقنا الى كلية طب جامعة البصرة كان دليلنا اليها الزميل « عبد الحسين الغراوي «، وقبل ان ندلف عتبتها سمعنا عزفاً موسيقياً وطبولاً تقرع. ترجلنا من السيارة وشاهدنا جمعاً من طلبتها وهم يغنون ويدبكون، فعلمنا ان هذه الاحتفالية اقيمت للطلبة الذين سيتخرجون نهاية العام الدراسي الحالي، واطلقوا تسمية غريبة على دفعتهم تحمل معاني السخرية والاستهزاء هي « دفعة سنوات الضياع». التقينا مدير مكتب العميد « ابو ريام « الذي بدا متبرماً وضجراً من اللافتات التي رفعها الطلبة الخريجون، وعبرت عن سخريتهم مما حصل لهم في سنوات الدراسة. احد الطلبة همس لي قائلاً:

مجموعة من طلبة احدى الكليات ارادوا اقامة حفلة بمناسبة تخرجهم تعزف فيها الموسيقى ويعلوها الغناء، وهذا الامر يتطلب موافقة المسؤولين في الكلية الذين رفضوا هذا الطلب، مما اضطر الطلبة الى تحدي رفض المسؤولين فاقاموا الحفل الذي لم يحضره احد منهم . ويبدو أن حفلة طلبة الكلية هي على شاكلة تلك الحفلة، اذ لم نلمس حضور أي من مسؤوليها، وكان العميد منشغلاً بمناقشة احدى الاطاريح.

ابو ريام قدم لنا كل التسهيلات اللازمة للاطلاع على أقسام الكلية ومختبراتها. فكانت محطتنا الأولى قاعة محاضرات طلاب المرحلة الأولى. بداية، التقينا الطالب « علي باسم» الذي سألناه عن مشكلات طلبة كلية الطب؟ فقال : بناية الكلية تعاني قدمها وكذلك ضعف المختبرات، وهي بحاجة الى عناية اكبر مع أن العمل جار لإكمال بنايتي كليتي الطب وطب الاسنان، الا انه يجري ببطء شديد. بدأ البناء قبل سقوط النظام السابق ولم يكتمل حتى هذه اللحظة ، ويشير بيده قائلاً : انظر الى سقوف هذه القاعة، ربما تبدو للزائر بانها سليمة الا ان الحقيقة هي غير ذلك تماماً، وبالنسبة للهيئة التدريسية فهم يبذلون قصارى جهودهم من اجل إيصال المادة للطلبة .

ثم التقينا الطالبة « نورا ابراهيم» وسألناها كيف واجهتي الايام الاولى بعد قبولك في كلية الطب؟ فروت قائلة : بالتأكيد كانت ايام صعبة لاسيما ونحن ما زلنا في اجواء الدراسة الاعدادية والمناخ الجامعي بدا لنا غريباً ومجهولاً. ولكن وبمرور الايام تأقلمنا مع الوضع الجديد، خاصة أن كلية الطب ليست بالكلية السهلة، وبمساعدة الهيئة التدريسية التي وفرت لنا ما يعزز الثقة بالنفس، وهذا لا يعني عدم وجود اشكاليات مثل الضغط الدراسي، والمواد المنهجية مطولة. اما الان وبعد انتهاء الفصل الاول وبداية الفصل الثاني استطيع القول باننا تجاوزنا مرحلة الخوف والتردد لاسيما بعد نجاح « صولة الفرسان» في فرض الامن والاستقرار في المحافظة . وعن علاقات الطلبة مع بعضهم قالت: هي قطعاً علاقات اخوية تشوبها الحميمية والمودة. وسألتها: وأنت تسيرين في الشارع هل تشعرين بالامان ؟ قالت: الاوضاع في البصرة مستقرة، مع اني طالبة من بغداد. في كل مكان نواجه المضايقات مثل معاكسات الشباب ، غير انني ومنذ مجيئي الى البصرة لم اواجه أي نوع من انواع المضايقات .

ثم انتقلنا إلى زميلها علي مازن مناتي: الذي سألته عن معنى» مناتي» فقال: هي اسماء اجدادنا القدماء الذين قد يظنون انها تدفع عنهم الشرور والاذى وربما « مناتي» هو احد اسماء « الجن» . ما شعورك وانت تدخل كلية الطب من بابها الواسع؟ قال: بصراحة هي مرحلة انتقالية بعد اجتياز مرحلة اخرى تعد مهمة لتقرير المصير، فضلاً عن شعوري بانه انجاز اجتماعي عدا كونه انجازاً دراسياً كهدف اولي. هذا الاحساس كان هاجسي الدائم في ولوج عالم الطب وبالتالي تخرجي كطبيب امارس مهنة انسانية يتوجب علي ان أوظفها لخدمة ابناء مجتمعي. في ردهات المستشفيات او في الشارع وفي البيت، اطمح في التخفيف من مآسي الانسان العراقي وتأثيراتها النفسية والبيولوجية.

في قسم المختبرات للمرحلة الثالثة التقينا الطالبة « زينب عبد الامير « وسألناها عن المشكلات والصعوبات والمعوقات التي تعترض دراستها الطبية فاجابت: المعوقات تكمن في كون المادة الدراسية صعبة ومطولة، وعدم توفر الوقت الكافي لانجاز ما مطلوب منا كطلبة طب. لدينا اربع مواد عملي من مجموع سبع مواد.

وتوجهنا الى الاستاذ الدكتور « عبد المحسن حميد الذي حدثنا قائلاً: في درس الاحياء المجهرية نستعمل المجاهر الموجودة حالياً، هذه المجاهر هي بعمر كلية الطب تماماً، فقد استوردت منذ السنة الأولى لتأسيسها. أي ان عمرها بلغ أربعين عاماً وناهيك عن الشرائح المجهرية التي نضع عليها» الطفيليات « التي انتهى عمرها الافتراضي. وليس لدينا منفذ لاستبدالها نظراً لارتفاع معدلات اسعارها، اذ تكلف الشريحة الواحدة اربعين دولاراً، والعمادة لا تمتلك الامكانات المادية لشرائها. وعن المستوى العلمي للطلبة أجاب قائلاً : المستوى العلمي في الوقت الراهن هو متدن مقارنة بما كان عليه في سبعينيات وبداية ثمانينيات القرن المنصرم. والاسباب كثيرة منها سوء الاوضاع الامنية ونوعية كفاءة الاساتذة، فضلاً عن التهديد المستمر الذي تعرض له معظم الاساتذة من قبل الطلبة الذين يرومون النجاح باية طريقة. ناهيك عن غياب الدعم الحكومي وقدم المختبرات سواء في معداتها أو في موادها المختبرية ، لأن المختبر الطبي يحتوي على قسمين الاول يختص بالسايدات « والثاني يعني « بالتحليلات « أي تشخيص الامراض التي يجريها الطالب نفسه. هذان القسمان لم يعودا موجودين الآن. قلت له: من يعمل في هذا المختبر هن من الطالبات فقط ولا وجود للطلاب!!!

الحضور الى المختبر يتم عبر الحروف الابجدية، وسألته: بأي حرف تبدأ اسماء الطالبات الحاضرات؟ تردد وتلعثم وقال : ربما هن « بحرف الباء قلت له: حرف الباء هذا وقفاً على البنات حصراً؟ زاد تلعثمه وتردده وقال: التوزيع حسب الابجدية ، وربما تكون ابجدية حرف « الباء» جلها من البنات. لم اقتنع بما بررره الدكتور، فكل الحروف الابجدية هي موزعه بين البنين والبنات، ولكني ادركت بأن وراء الاكمة ما وراءها، وان هناك توجهاً لعزل البنين عن البنات في الدروس العلمية لكلية طب جامعة البصرة، وان التعلل بالحروف الابجدية ماهو الا وسيلة لاضفاء السمة التبريرية لهذا التوجه.

ثم سألته متى يبدأ التخصص؟ قال : بداية التخصص هي من المرحلة الثالثة ويستمر حتى المرحلة الخامسة التي تكون هي الفاصل في التخصص الدقيق. اما المرحلة السادسة فهي للتطبيق حصراً . ويوضح : لدينا خطة للمرحلة بان يقوم طلبة المرحلة الثالثة بالتطبيق في المستشفيات خلال العطلة الصيفية.

وفي قسم التشريح التقينا التدريسي « الدكتور صالح مهدي علي « سألناه : ما مدى تقبل الطلاب لموضوع تشريح الجثث ؟ فرد قائلاً : المواجهة الاولى لطالب كلية الطب تكمن في مشاهدة اعضاء الاجساد البشرية الحية التي غالباً ما تكون مجبسة او محفوظة في مادة «الفورمالين». الدرس الاول في التشريح يبدأ بعرض « فيلم « لتحضير الجثة» بمادة الفورمالين « او المجبسة بغية ان يتعرف الطالب اولاً على طريقة التحضير لتجنب الصدمة الاولى. ثم نبدأ باستعراض عظام جسم الانسان، وتعتمد على المرحلة الدراسية ففي المرحلة الاولى يدرس الطلبة الأطراف العليا والسفلى، ثم اجزاء اخرى من الجسم بدءاً من منطقة « الابط « ثم العضد ويليه اليد. و من هم الاكثر شجاعة في مواجهة الجثث؟.. قطعاً هم من البنين ، واحياناً يغمى على بعض الطالبات حتى وهن يشاهدن الفيلم .

هناك مستويات جيدة واخرى متوسطة ومستويات خاصة بالطلبة المهجرين الذين يعانون صعوبات في التعليم، نتيجة للضغوطات النفسية التي تعرضوا لها. وبدورنا نحاول قدر الإمكان مساعدتهم للارتقاء بمستوياتهم العلمية . وسألناه عن الجثث التي تستخدم في التشريح وكيف يحصلون عليها فقال: هذه الجثث محفوظة منذ سنوات بمادة «الفورمالين»، وفي النية شراء اجزاء مجبسة من المانيا. وكنا نحصل على جثث الاموات مجهولي الهويات، وكذلك جثث الاجانب المتوفين في العراق مثل الهنود والبنغاليين وغيرهم، فتقوم الكلية بتعويض مادي لذويهم او بشرائها من الشركات العاملين فيها وبعد ذلك يتم تحنيطهم لاغراض الدراسة.